البروفيسورة
بسمة بنت أحمد جستنية

بسم الله الرحمن الرحيم

أستاذ الأديان والعقيدة بجامعة طيبة
سفير وزمالة دولية من مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات kaiciid

منهج الإسلام في إقرار السلام
(الحوار مع غير المسلمين نموذجًا)

المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة

www.b-jastaniah.sa
dr.jasten@gmail.com
966505304041+

KSA - Al-Madina Al-Monawara

ملخص البحث

الحمد لله السلام المؤمن، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،

فقد تناول القرآن الكريم (السلم والسلام) في عشرات من آياته المحكمات، وقد جعل الله تعالى السلام تحيته بين عباده، وأمرهم بذلك، للإشعار بأن هذا الدين هو دين السلام والأمان، وهم أهل السلم ومحبو السلام. وآيات القرآن الكريم التي تناولت السلام كثيرة، ومن هنا كان الإسلام شعار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها منذ ظهور الإسلام حتى الآن.

وجاء الإسلام خاتماً للأديان، بعد النصرانية التي آل إليها من حرف دين المسيح عليه السلام. فكان طبيعياً أن يقوم الحوار بين الإسلام والنصارى، بل وأصحاب الديانات الأخرى التي كانت سائدة في ذلك الوقت، فاليهود قد جاوروا المسلمين في المدينة المنورة.

وقد اتضح منهج القرآن الكريم في الحوار مع أصحاب الديانات الأخرى، وألزم المسلمين في مجادلة غير المسلمين، وأهل الكتاب تحديدا، بأن يكون الجدال بالحسنى في قوله تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وهذا البحث بين يدي القارئ جاء ليؤكد هذه الحقيقة، وأن الإسلام هو دين الأمن والأمان والسلام، أرسى أصولا بمقتضاها يتعايش المسلمون مع غير المسلمين فوق أرض واحدة، وتحت سماء واحدة، وفي مجتمع واحد تمثلت في: البر والعدل والحوار والاعتراف بالآخر، والجدال بالتي هي أحسن، والتركيز على نقاط الالتقاء، ومواضع الاتفاق. كل ذلك بشهادات صادقة انبعثت من الغرب، شهادات أنصفت الإسلام، وتحدثت بإعجاب وانبهار عن نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، ورسالته الخاتمة الإسلام دين السلام.

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]

KSA - Al-Madina Al-Monawara
www.b-jastaniah.sa
dr.jasten@gmail.com
966505304041+
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة

Summary

Thankfully insured peace، and peace and blessings on the gift of mercy، sent as a mercy to the worlds، and on his family and companions، and followed them in truth until the Day of Judgment. Later

It has dealt with the Koran (peace، peace) in dozens of verses umpires، has made the God of peace greet him among the slaves، and ordered them to do so، to notice that this religion is a religion of peace and security، they are people of peace. And verses of the Quran، which dealt with the peace of many، and here was the slogan of Islam Muslims all over the world since the advent of Islam until now.

The ring of religions Islam، Christianity، after which each of the symbol's religion of Christ. Was natural that the dialogue between Islam and Christians، but other religions that were prevalent at that time.

It was clear approach Koran in dialogue with other religions، and committed Muslims in non-Muslim dispute، and specifically the people of the book، to be gentle persuasion controversy in the verse.

﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت ٤٦].

This research is in the hands of the reader came to confirm this fact، and that Islam is a religion of security، safety and peace، laid down the assets under which coexists Muslims with non-Muslims over the same land، and under the same sky، In one community represented in: righteousness، justice، dialogue and recognition of the other، the controversy in the best manner، and focus on the points of convergence، and placements agreement. All that testimony truthful emitted from the west، certificates Islam، and spoke with admiration and dazzle of the prophet of Islam، peace be upon him، and his conclusion Islam is a religion of peace.

KSA - Al-Madina Al-Monawara
www.b-jastaniah.sa
dr.jasten@gmail.com
966505304041+
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة

مقدمـة

الحمد لله السلام المؤمن، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

رعى الإسلام الدعوة إلى السلام وجعلها دعامته الأولى.. وقد تناول كتابه القرآن الكريم (السلم والسلام) في عشرات من آياته المحكمات. ليس ذلك فحسب، بل إن السلام اسم من أسماء الله تعالى وصفة من صفاته ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِى لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]

وقد جعل الله تعالى السلام تحيته بين عباده، وأمرهم بذلك، للإشعار بأن هذا الدين هو دين السلام والأمان، وهم أهل السلم ومحبو السلام. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ يقول: «إن الله جعل السلام تحية لأمتنا وأمانا لأهل ذمتنا» [١].

وسمّى رب العزة والجلال الجنّة دار السلام: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِى مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس:٢٥]، ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠] وجعل سبحانه السلام جزاء على رضوانه:﴿يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ﴾ [المائدة:١٦]

وقد وردَ ذكرُ السلامِ في القرآن مُتصرِّفًا أربعًا وأربعين مرَّةً، في حين أن لفظَ الحرب لم يرِد في الكتاب الحكيم إلا ستَّ مراتٍ، وآيات القرآن الكريم التي تناولت السلام كثيرة، ومن هنا كان الإسلام شعار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها منذ ظهور الإسلام حتى الآن.

وجاء الإسلام خاتماً للأديان، بعد النصرانية التي آل إليها من حرف دين المسيح عليه السلام. فكان طبيعياً أن يقوم الحوار بين الإسلام والنصارى، بل وأصحاب الديانات الأخرى التي كانت سائدة في ذلك الوقت، فاليهود قد جاوروا المسلمين في المدينة المنورة.

وقد اتضح منهج القرآن الكريم في الحوار مع أصحاب الديانات الأخرى، وألزم المسلمين في مجادلة غير المسلمين بأن يكون الجدال بالحسنى في قوله تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

---

[١] أخرجه الطبراني، سليمان بن أحمد، في المعجم الكبير ج٨ح (٧٥١٨) مكتبة العلوم والحكم المفصل، ط٢، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣م، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ص١٠٩.

إنه إسلام السلام. دين الأمن والأمان والسلام، والله تعالى الذي لم يرتض غير الإسلام دينا هو السلام ويدعو إلى الإسلام والسلام.

وقد جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وهي التي بين يدي القارئ في التعريف بالموضوع وأهميته.

المبحث الأول: في حوار الإسلام مع أصحاب الأديان، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دعوة القرآن الكريم والسنة النبوية إلى الحوار غير المسلمين عموماً.

المطلب الثاني: تخصيص أهل الكتاب بالدعوة إلى الحوار معهم.

المبحث الثاني: منهج الإسلام في الحوار مع غير المسلمين.

المبحث الثالث: في نماذج وشهادات من الحوار مع غير المسلمين.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات التي توصي بها الدراسة. أسأل الله تعالى أن أكون قد وقفت فيما عرضت. وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه سبحانه.

KSA - Al-Madina Al-Monawara
www.b-jastaniah.sa
dr.jasten@gmail.com
966505304041+
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة

تمهيـد

السلام أحد مطالب الحياة الأساسية، وهو مطلب لكل المجتمعات التي تسعى للتقدم والرقي. فإذا كانت العقول تتفق على أن الأمن والسلام مطلب لا غنى عنه لأي مجتمع، لحفظ وحماية حقوق الأفراد، فإن ضبط وأمن الفكر لا يقل أهمية، حيث يمنح للفرد حماية لحقوقه الفكرية وحريته الإنسانية.

يمثل السلام في الحياة الإنسانية إشباعا لحاجاته الأساسية ومتطلباته، من المأكل والمشرب والملبس والمسكن إلى مفاهيم تحقق للإنسان كرامته وحريته وتعايشه مع الآخر مهما اختلفت بيئته، أفرادا، وجماعات، ومجتمعات، ودولاً. وحضارة الإسلام وثقافته إنما قامت على أساس السلم والتسامح والتقارب الفكري، داعية لنشر السلام العادل في الأرض وبين بقية الشعوب وإحلال الإخاء فيما بينها. سواء رضيت بالدين الإسلامي أم لا.

إن الإسلام من خلال دعوته يقيم الأمن والطمأنينة بين المسلمين وغيرهم، ويفتح قنوات التعارف والحوار مع الآخر، والتسامح بين الشعوب. وكان معلم البشرية الخير نبينا محمد ﷺ يدعو الناس إلى الإيمان بالإسلام بأسلوب المسالمة وعدم الإكراه.

ولقد مثل نبينا محمد ﷺ أنموذجا يحتذى ويقتدى به في الدعوة إلى الإسلام والتعريف به، من خلال الحوار مع الآخر. وهي شهادة شهد بها علماء الغرب أنفسهم، أنه عليه الصلاة والسلام مثل العظمة في شخصيته ودعوته، ودعوة الناس إلى هذا الدين الخاتم.

يقول المفكر هنري ماسيه في حديثه عن النبي محمد: " وأما مداركه فهي تمثل شخصاً يعتقد بإله واحد، وبوجود حياة أخرى، ويتصف بالرحمة الخالصة، والحزم في الرأي والاعتقاد، ويضاف إليه أنه رجل حكومة، وأحياناً رجل سياسة وحرب، ولكنه لم يكن ثائراً، بل كان مسالماً "[١].

ووصف جورج بروك عضو البرلمان البريطاني الإسلام بأنه:" دين السلام والمحبة بين البشر "[٢].

أما المفكر الأيرلندي برناردشو فقد قال عنه: " إنه دين التعاون والسلام والعدالة في ظل شريعة محكمة لم تدع أمراً من أمور الدنيا إلا رسمته ووزنته بميزان لا يخطئ أبداً"[٣].

---

١ الإسلام، هنري ماسيه، ترجمة وتحقيق: بهيج شعبان.ط٣-١٩٨٨م، ص ١١.

٢ مجلة العالم الإسلامي العدد ٧، السنة الخامسة.

٣ مجلة الذكرى عدد ٧، دورة ١ ص ٢٢

بل ظهر كما وصفه المفكر البلجيكي هنري ماسيه: "يتصف بالرحمة الخالصة" [١]. تلك الرحمة الخالصة التي غلبت دوماً على أحاديث النبيﷺ وسيرته، فلا "تنفك الأحاديث الشريفة والسيرة النبوية تصور في الأذهان كرم الرسول وتواضعه، كما تصور استقامته، ونقاءه، ولطفه وحلمه. وكما يظهره التاريخ قائداً عظيماً ملء قلبه الرأفة، يصوره كذلك رجل دولة صريحاً قوي الشكيمة (ديمقراطياً).." [٢].

النماذج والشهادات كثيرة شهادة من علماء الغرب أنفسهم على هذا الدين وقائد هذا الدين الخاتم، وأن دعوته دعوة سلم وسلام ورحمة وإخاء.

فالإسلام هو دين الحوار والاعتراف بالآخر، وإيجاد السّبل الكفيلة التي تحقق العيش بسلام وأمن وطمأنينة، لهذا أمر الإسلام بالحوار والدّعوة بالتي هي أحسن، وسلوك الأساليب الحسنة، والطّرق السليمة في مخاطبة الآخر. قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل١٢٥].

١ ماسيه، هنري، الإسلام، ص ١١.

٢ مارسيل بوزار: إنسانية الإسلام، ترجمة، تحقيق: عفيف دمشقية. ط٣. دار الآداب-١٩٨٣م، ص ٤٦.

المبحث الأول

حوار الإسلام مع أصحاب الأديان

المطلب الأول: دعوة القرآن الكريم والسنة النبوية إلى الجدل مع غير المسلمين عموماً.

من الأصول الثابتة في الإسلام الإيمان بأصل وحدة الدين السماوي، الذي أنزله الله سبحانه وتعالى منذ فجر تاريخ البشر على وجه المعمورة وكلف الأنبياء عليهم والسلام بتبليغه والدعوة إليه. قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فالإيمان بجميع الأنبياء عليهم السلام من مستلزمات العقيدة الإسلامية ولن يكون المسلم مسلماً إذا لم يؤمن بالأنبياء عليهم السلام جميعاً

وظل القرآن المكي ينزل على رسول الله ﷺثلاثة عشر عامًا كاملة يحدثه فيها عن قضية واحدة لا تتغير ولكن طريقة عرضها لا تكاد تتكرر لقد كان يعالج القضية الأولى والكبرى والأساسية في هذا الدين الجديد، قضية العقيدة ممثلة في قاعدتها الرئيسة، الألوهية والعبودية، وما بينهما من علاقة، ولم يتجاوز القرآن المكي هذه القضية الأساسية إلى شيء مما يقوم عليها من التشريعات المتعلقة بنظام الحياة إلا بعد أن علم الله أنها قد استوفت ما تستحقه من البيان وأنها استقرت استقرارًا مكينًا ثابتًا في قلوب العصبة المختارة من بني الإنسان.

والقرآن في أسلوبه يعرض الدعوة على الكفار (غير المسلمين) باللين والحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالحسنى، ففي وصية الله لموسى وهارون عندما عرضا الدعوة على فرعون باللين. قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥]. [١]

ويبيّن الإسلام نوع العلاقة التي يجب أن تسود المسلمين وغيرهم إنّها علاقة التّعاون، والإحسان، والبرّ، والعدل. فهذا هو الحوار الحضاري والعلاقة السامية، قال تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]

---

١ انظر: القرضاوي، يوسف، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، ط٣. دار الشروق-٢٠٠٩م.ص ٤٠

وما يرويه المؤرخون عن موقف النبي ﷺ في حادثة بناء الكعبة، وما أثبته علماء الغرب في حديثهم عن النبي ﷺ تعليقاً عليها يمثل خير برهان على سلام دعوة خاتم الرسل محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

والمصادر التاريخية تذكر أنهﷺ قبل بعثته بخمس سنين، تعرضت الكعبة للهدم، بسبب سيل عرم انحدر إلى البيت الحرام، فأوشكت الكعبة منه على الانهيار، فاضطرت قريش إلى تجديد بنائها حرصًا على مكانتها، فعمدت قريش إلى بنائها، فلما تنازع القرشيون فيما بينهم من الذي يضع الحجر الأسود في مكانه، واختلفوا فيمن يمتاز بشرف وضعه في مكانه، واستمر النزاع أربع ليال أو خمسًا، واشتد حتى كاد يتحول إلى حرب ضروس في أرض الحرم، إلا أن أبا أمية بن المغيرة المخزومى عرض عليهم أن يحكِّموا فيما شجر بينهم أول داخل عليهم من باب المسجد[١]، فارتضوه، وشاء الله أن يكون ذلك محمد ﷺ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين [٢]، قد رضينا به هذا محمد[٣]، فلما انتهى إليهم، وأخبروه الخبر طلب رداء فوضع الحجر وسطه وطلب من رؤساء القبائل المتنازعين أن يمسكوا جميعًا بأطراف الرداء، وأمرهم أن يرفعوه، حتى إذا أوصلوه إلى موضعه أخذه بيده فوضعه في مكانه[٤].

وأخذ المفكرون والعلماء، يعلقون على هذا الحدث بتعليقات تذخر بالتقدير والإعجاب لهذه الشخصية العبقرية، التي تحاول في حرص شديد دائم على تحقيق الأمن والسلم بين الناس.

وتوقف الباحث الألماني، أغسطينوس موللر عند هذه الحادثة ملياً، في كتابه: "الإسلام "، وتعرض لسياسة النبي ﷺ في هذا المقام، وكيف أنهﷺ "أدهش قريشا بسياسته الرشيدة [٥].

كما توقف الأب هنري لامنس عند هذه الحادثة، فقال:" لما اختلفت قريش في قضية بناء الكعبة، وأي فخذ منها يجب أن يعهد إليه بوضع الحجر الأسود في مكانه وكادوا يقتتلون، فاتفقوا على أن يعهدوا بذلك إلى محمد بن عبد الله الهاشمي ﷺ، قائلين: هذا هو الأمين [٦].

---

١ ابن سيد الناس: عيون الأثر، بيروت: دار الآفاق –١٩٧٧م. ١/ ٧٥

٢ الحاكم، محمد بن عبدالله، المستدرك، ١ / ٦٢٨ من حديث عبد الله بن السائب، برقم ١٦٨٣، ط٢. بيروت. دار الكتب.١٤٣٣هـ.

٣ الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك١/٥٢٦، بيروت–ط١–١٤٠٧هـ. وابن كثير، محمد بن إسماعيل، البداية والنهاية، ٣٠٣/٢، مكتبة الفلاح الرياض، مطبعة الفجالة القاهرة.

٤ انظر في هذه الحادثة أيضاً: الصالحي، محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد، ٢/ ١٧١، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية–١٤١٨هـ، وابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، صفة الصفوة، ١/ ٧٧، ط٣، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٥هـ.

٥ انظر: الشيباني، محمد شريف، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة، ص ٢٢، ٢٣. بدون بيانات

٦ هنري لامنس: عهد الإسلام، ص٦٥.نسخة الكترونية.

ولقد ربط المستشرق "أرثر جيلمان" بين هذه الحادثة التي منعت اقتتال القبائل العربية، وبين المرحلة التالية لبدء البعثة والوحي، والتي تشكل مقدمة الدعوة الإسلامية، بقوله:" لا بد أن يكون محمد ﷺقد تأثر بإعجاب القوم وتقديرهم العظيم بهذه الفكرة التي بسطت السلام بين مختلف القبائل، ولا يستبعد أن يكون محمدﷺ قد أخذ يحس بنفسه أنه من طينة أرقى من معاصريه، وأنه يفوقهم جميعاً ذكاءً وعبقرية، وأن الله قد اختاره لأمر عظيم..!"[١].

أما مجتمع المدينة المنورة في عهد النبي ﷺفقد أرسى عليه الصلاة والسلام قاعدة رسمت وحددت نسق التعاون بين فئات الناس في المجتمع المدني: بين المؤمنين وأهل الكتاب، مثلت وثيقة نبوية اعترفت بالآخر وحددت ضوابط التعامل معه.

ويتحدث الباحث "وليم موير" عن معاملة النبي ﷺأعداءه تلك المعاملة التي اتسمت بالرحمة والعفو، حين فتحه مكة (في رمضان ٨هـ/ يناير ٦٣٠ م)، فيقول:"عامل حتى ألد أعدائه بكل كرم وسخاء حتى مع أهل مكة، وهم الذين ناصبوه العداء سنين طوالاً، وامتنعوا من الدخول في طاعته، كما ظهر حلمه وصفحه في حالتي الظفر والانتصار، وقد دانت لطاعته القبائل التي كانت من قبل أكثر مناجزة وعداء له "[٢].

كذلك يقول المستشرق الأمريكي واشنجتون إيرفنج [٣]:"كانت تصرفات الرسول ﷺ في [أعقاب فتح] مكة تدل على أنه نبي مرسل لا على أنه قائد مظفر. فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنيه برغم أنه أصبح في مركز قوي. ولكنه توّج نجاحه وانتصاره بالرحمة والعفو" [٤].

أما "جان باغوت غلوب "، صاحب كتاب الفتوحات العربية، فيقول معقباً: "وهكذا تم فتح مكة دون إراقة دماء إلى حد كبير... إلا أنه اكتسب قلوب الجميع بما أظهره من رحمة وعفو في يوم انتصاره "[٥].

وهذا غيض من فيض من الأخبار التي رواها المؤرخون عن حوار الرسول الله ﷺ مع أهل الكتاب وغيرهم.

---

١ ارثر جيلمان: الشرق، ص ١١٧نسخة الكترونية.

٢ موير، وليم، حياة محمد، ص ٨٨-١٨٥٨م.

٣ واشنجتون إيرفنج: مستشرق أمريكي، أولى اهتمامًا كبيرًا لتاريخ المسلمين في الأندلس. من آثاره: (سيرة النبي العربي)، مذيلة بخاتمة لقواعد الإسلام ومصادرها الدينية (١٨٤٩)، و(فتح غرناطة) (١٨٥٩)، وغيرها.

٤ واشنجتون إيرفنج: حياة محمد، ترجمة عادل زعيتر-١٩٦٩م. ص ٧٢

٥ جان باغوت غلوب: الفتوحات العربية الكبرى، ط جمعة الخولي. بدون بيانات نشر. ص ١٥٦-١٥٧.

المطلب الثاني: تخصيص أهل الكتاب بالدعوة إلى الجدال معهم.

سجل القرآن الكريم الحوار مع أهل الكتاب في آيات كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ٦٤]، وقوله تعالى:﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة:٦٨]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ﴾ [الأنعام: ٩١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٤٤].

وقد حث القرآن الكريم في آيات كثيرة على الحوار الهادف البناء خاصة أهل الكتاب لبيان الحق وإزالة الإبهام والغموض حول القضايا المختلفة فيها.

والآيات التي تذكر مشاهد الحوار بين المسلمين وأهل الكتاب آيات تعد بالعشرات، وتتخلل كثيراً من سور القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]

قال الشوكاني رحمه الله في تفسير الآية السابقة: [ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن] أي: "إلا بالخصلة التي هي أحسن وذلك على سبيل الدعاء لهم إلى الله عز وجل والتنبيه لهم على حججه وبراهينه رجاء إجابتهم إلى الإسلام لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة. [إلا الذين ظلموا منهم] بأن أفرطوا في المجادلة ولم يتأدبوا مع المسلمين فلا بأس بالإغلاظ عليهم والتخشين في مجادلتهم" [١].

١ الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير (٤ / ٢٠٥). ط٤. بيروت. دار المعرفة–١٤٢٨هـ.

والمتأمل في القرآن يجد أن معظم القضايا التي جادل القرآن فيها أهل الكتاب تدور على محورين:

١- توحيد الله وعبادته.

٢- إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والإيمان به [١].

وفي سيرة الرسول ﷺ مواقف عديدة للحديث مع أهل الكتاب والحوار معهم بدءاً من قصة ورقة بن نوفل رضي الله عنه، الذي قال حينما عرف بحديث الوحي: "لقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى" [٢].

ويروي ابن هشام مؤرخ سيرة النبيﷺفي حواره ﷺ مع اليهود حول الروح: "قال ابن إسحاق: وحدثت عن ابن عباس أنه قال: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، قال أحبار يهود: يا محمد، أرأيت قولك: [وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا] إيانا تريد، أم قومك؟ قال: كلاً، قالوا: فإنك تتلو فيما جاءك: أنا قد أوتينا التوراة فيها بيان كل شيء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنها في علم الله قليل، وعندكم في ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه. قال: فأنزل الله تعالى عليه فيما سألوه عنه من ذلك: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]، أي أن التوراة في هذا من علم الله قليل [٣]. وفي السير أيضا قصة وفد نصارى الحبشة، الذين جاؤوا إلى رسول الله ﷺوحاوروه في المسجد وآمنوا، ويروى ابن هشام قصة حوارهم فيقول:

" ثم قدم على رسول الله ﷺ، وهو بمكة، عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى، حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتها حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺعما أرادوا دعاهم رسول الله ﷺإلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن .فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله، وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره. فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل ابن هشام في نفر من قريش، فقالوا لهم: خيبكم الله من ركب! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلما تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال! ما نعلم ركباً أحمق منكم. أو كما قالوا. فقالوا له: سلام عليكم، لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيراً" [٤].

---

١ حسن، عثمان علي، منهج الجدل والمناظرة (١ / ٤٨٦)، الرياض، دار اشبيليا.د.ت.

٢ ابن هشام، أبو محمد عبدالملك، سيرة النبي ج ٢ / ٣٠٧، طنطا، دار الصحابة. د.ت.

٣ ابن هشام، السيرة، ج ٢ / ٣٠٨.

٤ ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ٢٩١-٢٩٢

وذكر ابن القيم رحمه الله ضمن فقه قصة وفد نجران: "ومنها: جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم وإقامة الحجة عليهم ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة..." [١].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله – في فوائد قصة أهل نجران –:("وفيها جواز مجادلة أهل الكتاب وقد تجب إذا تعينت مصلحته" [٢].

وكتاب الله الكريم وما سبق ذكره مما فيه من آيات، وما ورد في السنة النبوية ليؤكد ما ذكره العلماء من الإشارة إلى تخصيص أهل الكتاب بالدعوة إلى الجدال والحوار معهم.

١ ابن قيم الجوزية. زاد المعاد. تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط، بيروت – الكويت: مؤسسة الرسالة – مكتبة المنار الإسلامية. ط١٤– ١٤٠٧هـ. (٣ / ٦٣٩)

٢ فتح الباري (٨ / ٩٥): كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران

المبحث الثاني

منهج الإسلام في الجدال مع غير المسلمين

أرسى الإسلام أصولا بمقتضاها يتعايش المسلمون مع غير المسلمين فوق أرض واحدة، وتحت سماء واحدة، وفي مجتمع واحد.

ويستطيع المتتبع والمتأمل لآيات القرآن الكريم ونصوص السنة النبوية أن يستنبط المنهج الذي وجهت له تلك النصوص في الجدال والحوار مع غير المسلمين، فمن تلك الأصول:

الحوار والاعتراف بالآخر:

الإسلام هو دين السلام، بما يساعد على العيش بسلام وأمن وطمأنينة، لهذا أمر الإسلام بالحوار. والاعتراف بالآخر مسلماً كان أو غير مسلم هو منهج التعامل مع البشرية في القرآن المجيد، كما نلمس في آيات قرآنية كثيرة منها: ﴿لَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، وقال: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وسورة الكافرون تمثل تطبيقا عمليا وتقريرا للاعتراف بالآخر. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ۞ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ۞ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ۞ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ۞ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ۞ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ – ٦]

الدّعوة بالتي هي أحسن:

وسلوك الأساليب الحسنة، والطّرق السليمة في مخاطبة الآخر. قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥].

على هذه الأسس يرسي القرآن الكريم قواعد الحوار في الإسلام على أساس الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن. إنه منهج حضاري متكامل في ترسيخ مبادئ الحوار بين الشعوب والأمم.

" ومن الملاحظ على التعبير القرآني المعجز في الآية: أنه اكتفى في الموعظة بأن تكون(حسنة)، ولكنه لم يكتف في الجدال إلا أن يكون بالتي هي(أحسن). لأن الموعظة ـ غالباً ـ تكون مع الموافقين، أما الجدال فيكون ـ عادة ـ مع المخالفين؛ لهذا وجب أن يكون بالتي هي أحسن. على معنى أنه لو كانت هناك للجدال والحوار طريقتان: طريقة حسنة وجيدة، وطريقة أحسن منها وأجود، كان المسلم الداعية مأموراً أن يحاور مخالفيه بالطريقة التي هي أحسن وأجود "[1].

"بحسن خلق ولطف ولين كلام ودعوة إلى الحق وتحسينه ورد الباطل وتهجينه بأقرب طريق موصل لذلك، وألا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو، بل يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق" [2].

إدراك أحوال المحاور:

المجادل عن الإسلام عليه أن يدرك أحوال من يجادل ويحاور في قبوله أورده للحق، فإن أنزلهم منزلة واحدة فهناك يفقد الكلام معناه ويصبح الأمر مضطربا محيرا لمن قلت بصيرته في هذا الباب ويكون ذلك داعيا لفتنة بعض المسلمين ببعض.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "الإنسان له ثلاثة أحوال: إما أن يعرف الحق ويعمل به. وإما أن يعرفه ولا يعمل به. وإما أن يجحده.

فأفضلها أن يعرف الحق ويعمل به. والثاني: أن يعرفه لكن نفسه تخالفه فلا توافقه على العمل به. والثالث: من لا يعرفه، بل يعارضه.

فصاحب الحال الأول هو الذي يدعى بالحكمة فإن الحكمة هي العلم بالحق والعمل به فالنوع الأكمل من الناس من يعرف الحق ويعمل به فيدعون بالحكمة. والثاني: من يعرف الحق لكن تخالفه نفسه فهذا يوعظ بالموعظة الحسنة

فهاتان هما الطريقان: الحكمة والموعظة. وعامة الناس يحتاجون إلى هذا وهذا فإن النفس لها هوى تدعوها إلى خلاف الحق وإن عرفته؛ فالناس يحتاجون إلى الموعظة الحسنة والى الحكمة فلا بد من الدعوة بهذا وهذا.

وأما الجدل فلا يدعى به، بل هو من باب دفع الصائل؛ فإذا عارض الحق معارض جودل بالتي هي أحسن. ولهذا قال: [وجادلهم] فجعله فعلا مأمورا به مع قوله: ادعهم فأمر بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وأمره أن يجادل بالتي هي أحسن وقال في الجدال: [بالتي هي أحسن] ولم يقل بـ الحسنة كما قال في الموعظة؛ لأن الجدال فيه مدافعة ومغاضبة فيحتاج أن

---

١ انظر: القرضاوي، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، ص ٤١.

٢ السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان تأليف: تحقيق: عبد الرحمن اللويحي. بيروت. مؤسسة الرسالة. (٤ / ٦٤)

يكون بالتي هي أحسن حتى يصلح ما فيه من الممانعة والمدافعة والموعظة لا تدافع كما يدافع المجادل فما دام الرجل قابلا للحكمة أو الموعظة الحسنة أولهما جميعا لم يحتج إلى المجادلة فإذا مانع جودل بالتي هي أحسن"[1].

استخدام تعبيرات بدلالات توحي بالتقارب من الآخر: استخدم القرآن في مخاطبة اليهود، والنصارى، تعبيراً له إيحاؤه ودلالته في التقريب بينهم وبين المسلمين، وهو تعبير (أهل الكتاب) أو (الذين أوتوا الكتاب) ولهذا جاء في القرآن مثل قوله تعالى:﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١] ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران:٦٤].

والآية التي كان يرسل بها النبي ﷺ، إلى ملوك النصارى وأمرائهم، مثل قيصر والنجاشي والمقوقس ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران:٢٠] حتى المشركون الوثنيون لم يخاطبهم القرآن بقوله: ((يا أيها المشركون)) بل كان يناديهم بقوله: ﴿يا أيها الناس﴾.

ولم يرد في القرآن خطاب للمشركين بعنوان الشرك أو الكفر، إلا في سورة (الكافرون)، وذلك لمناسبة خاصة هي قطع الأمل عند المشركين أن يتنازل المسلمون عن أساس عقيدتهم، وهو التوحيد، ولهذا كرر فيها المعني الواحد بصيغ عدة تأكيداً وتثبيتاً، ومع هذا ختمها بهذه الآية الكريمة التي تعد غاية في السماحة: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]

ومثلها قوله تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١]

التعاون والإحسان والبر والعدل:

يبيّن الإسلام نوع العلاقة التي يجب أن تسود المسلمين وغيرهم. إنّها علاقة التّعاون، والإحسان، والبرّ، والعدل. فهذا هو الحوار الحضاري والعلاقة السامية، حيث قال الله تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ۝ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ

١ انظر في ذلك كلام ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الرد على المنطقيين. تحقيق: عبدالصمد شرف الدين. ط٢. لاهور. إدارة ترجمان السنة-١٣٩٦هـ. (٤٦٧-٤٦٨)

قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨-٩] [١].

فالبر والعدل هو أساس التوجيه القرآني للتعامل مع المخالفين عموما وأهل الكتاب فيما ورد من خطاب قرآني بشأنهم. وتلك القاعدة في معاملة غير المسلمين هي أعدل القواعد التي تتفق مع طبيعة هذا الدين ووجهته ونظرته إلى الحياة الإنسانية، بل نظرته الكلية لهذا الوجود. [٢]

والأمر بمجادلة أهل الكتاب في القرآن جاء مقرونا بالإحسان ومن الإحسان:

- اتباع طريقة القرآن في جداله لأهل الكتاب، والأصل في باب مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن هو آية آل عمران: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤] [٣].

ولهذا امتثلها النبي ﷺ، فكتبها في رسالته إلى هرقل عظيم الروم يدعوه إلى الإسلام ونبذ الشرك. وكذا كان منهجه في الكتابة إلى ملوكهم ورؤسائهم عليه أفضل الصلاة والسلام.

روى ابن عباس رضي الله عنه- كما في حديث أبي سفيان الطويل مع هرقل - أن النبي ﷺ كتب إلى هرقل: "بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام. أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين. ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] [٤].

---

١ انظر مقال د احمد عمر هاشم من ركائز الوحدة الوطنية للمسلمين مع غير المسلمين جريدة أخبار اليوم رقم العدد: ٣٤٩٨ السبت ١٩ نوفمبر ٢٠١١م

٢ انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ٦، القاهرة. دار الشروق. ص ٣٥٤٤

٣ القاضي، أحمد عبد الرحمن. دعوة التقريب بين الأديان. الرياض. دار ابن الجوزي. (٢ / ٧٢٥)، وانظر: بكر أبوزيد، الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان.. ط١. الرياض. دار العاصمة، ص١٠١.

٤ البخاري، محمد بن إسماعيل. الجامع الصحيح، ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني. القاهرة. المطبعة السلفية-١٣٩٠هـ. (١ / ٣١-٣٣) رقم: ٧.

عدم تكذيب ما عندهم تكذيبا عاما

لمجرد كونه من كتبهم، بل ينبغي السكوت عن ذلك فلا يصدقون ولا يكذبون. قالَ ﷺ: " إذا حدثكم أهل الكتاب؛ فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بما أنزل إلينا وما أنزل إليكم "[1]. لأنَّك إن صدقت؛ قد تصدق بالباطل، وإن كذبته؛ قد تكذب بحق؛ فلا تصدق ولا تكذب؛ قل: إن كان هٰذا من عند الله فقد آمنت به.

وقد قسَّم العلماء ما أثر عمَّن سبق ثلاثة أقسام:

الأوَّل: ما شهد شرعنا بصدقه.

الثَّاني: ما شهد شرعنا بكذبه والحكم في هٰذا واضح.

الثَّالث: ما لم يحكم بصدقه ولا كذبه.

فهٰذا ممَّا يجب فيه التَّوقف؛ لا يصدّق ولا يكذّب [2].

استقبال وفودهم:

يدخل في أصول الحوار معهم أيضا استقبال وفودهم، جاء في الأثر، قال حذيفة ﷺ:" جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه. قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل فوالله لئن كان نبيا فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا. قالا: إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلا أمينا ولا تبعث معنا إلا أمينا. فقال: لأبعثن معكم رجلا أمينا حق أمين فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: قم يا أبا عبيدة ابن الجراح فلما قام قال رسول الله ﷺ: هذا أمين هذه الأمة"[3]

التركيز على نقاط الالتقاء، ومواضع الاتفاق.

من أساليب الحوار بالحسنى: التركيز على نقاط الالتقاء، ومواضع الاتفاق بينك وبين مَن تحاوره.

---

١ أخرجه البُخاريّ: (٤٤٨٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه الإمام أحمد: عن أبي نملة الأنصاري. انظر: ابن حنبل، أحمد بن محمد، المسند، ط١، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤١٧هـ، (٤/١٣٥).

٢ ابن عثيمين، محمد بن صالح، شرح العقيدة الواسطية (٢ / ١٨٢، ١٨٣) دار ابن الجوزي. د.ت. وانظر: منهج الجدل والمناظرة (١ / ٣٢٦-٣٢٧).

٣ صحيح البخاري مع الفتح (٨ / ٩٣-٩٤) رقم ٤٣٨٠.

فالقرآن يعطينا أسلوب بدء اللّقاء والحوار، وكيف نستغلّ نقط التّلاقي بين المتحاورين. فيبيّن الأصول التي يمكن الاتّفاق عليها ويركّز على ذلك فيقول: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وهو أسلوب قرآني، يجب أن نتعرف عليه، فهو يقول في حوار أهل الكتاب من اليهود والنصارى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]

ومثل ذلك قوله في سورة أخرى: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ [البقرة: ١٣٩]. فإذا كان هذا موقف المسلم ممن يجادله من أهل الكتاب الذين يخالفونه في عقيدته، وأصل دينه، ولا يؤمنون بأن محمداً رسول الله، ولا أن القرآن كتاب الله، ولا أن الإسلام شريعة الله، فكيف ينبغي أن يكون موقفه من أخيه المسلم الذي يؤمن بكل ما يؤمن به من عقيدة وشريعة، ورسول وكتاب؟

وأذكر هنا نموذجاً رائعاً من نماذج حوار القرآن مع المخالفين وكيف يقربهم إلى ساحته ولا يستثير دوافع الخصومة، وحب الجدل في نفوسهم بل يحاول بأسلوب الرفيق الحكيم تهدئتها، يقول تعالى في سورة (سبأ) مخاطباً المشركين: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ۞ قُل لّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٤-٢٦].

عدم الإكراه:

حمل نبي الرحمة ﷺ وأتباعه قيم الإسلام العليا ومثله السامية، وأخذوا في نشرها في كل أرجاء الدنيا، دون إجبار الناس عليها، وبدأت عملية التفاعل بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأوربية، والمصرية، والفارسية، والهندية. فلم يلغ الإسلام الحضارة المصرية إنما جودها، ولم يلغ الإسلام حضارة الهند إنما هذبها، ونقى الحضارات من خبيث العقائد والأفكار، وجلى الطيب النافع من الموروثات والثقافات القديمة.

ومع مرور الزمن وانصرام القرون نتجت حضارة إسلامية جديدة أسهمت في إنضاجها مكونات حضارات الشعوب والأمم التي دخلت في الإسلام، فاغتنت الحضارة الإسلامية بكل ذلك عن طريق الحوار والتفاعل، وكانت هي بدورها فيما بعد

KSA - Al-Madina Al-Monawara
www.b-jastaniah.sa
dr.jasten@gmail.com
966505304041+
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة

عندما استيقظت أوروبا من سباتها وأخذت تستعد للنهوض مكوناً حضارياً ذا بال أمدّ الحضارة الأوروبية الغربية بما تزخر به من علوم وقيم وعطاء حضاري متنوع [1].

إن دعوة النبي ﷺ إلى الحوار مع باقي الدول والحضارات تنبع من رؤيته في التعامل مع غير المسلمين الذين يؤمنون برسالتهم السماوية. فعقيدة المسلم لا تكتمل إلا إذا آمن بالرسل جميعاً: قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]

وفي ميدان الحربِ والقتالِ إذا بذلَ العدوُّ كلمةَ السلام وجبَ الكفُّ عنه واعتبارُه مُسلمًا مُتمتِّعًا بالسلام؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤]

إن السلام هو الشعار الأول للإسلام، ولذا أوجب الله على المؤمنين مسالمة الناس جميعا، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨] [2].

١ انظر: عزوزي، حسن، الإسلام وترسيخ ثقافة الحوار الحضاري، مجلة البلاغ، يناير ٢٠٠٧.

٢ انظر سماحة الإسلام ص٥١، والطير، مصطفى محمد، عطاء الرحمن من شريعة القرآن، ٢٤٠الأزهر الشريف – مجمع البحوث الإسلامية ١٩٨٥، ص٢٤٥.

المبحث الثالث

نماذج وشهادات

التراث الإسلامي حافل بنماذج عدة تشير إلى الجدال السلمي مع غير المسلمين، فبعدما عقد النبي ﷺهدنة بينه وبين مشركي مكة الذين حاربوه على مدار ثمانية عشر عاماً راسل النبي ﷺخلالها زعماء وأمراء وملوك العالم.. للحوار والتواصل والتعريف بدعوة الإسلام.. مركزاً في خطاباته على قيم السلام وحرية الاعتقاد، نلحظ ذلك جلياً في محتوى هذه الرسائل.

والنماذج في سيرة النبي ﷺ، وشهادات علماء الغرب وتعليقاتهم على تلك الشواهد التاريخية، لا تدع مجالا للشك أو التشكيك في أن الدين الذي ارتضاه الله تعالى للبشرية جمعاء هو دين السلام والسلم. وفيما يلي البرهان من أقواله وأفعاله ﷺ:

إرسال الرسل والسفراء:

أرسل الرسول ﷺ الكثير من الرسل والسفراء – يدعوهم إلى الإسلام – ولتحقيق مثل هذا الحوار بينه وبين الأمم والحضارات الأخرى وملوك وزعماء العالم: فبعث الصحابي الفاضل دحية بن خليفة الكلبي – وكان أنيقًا وسيمًا –، إلى قيصر ملك الرومان، واسمه هرقل. وبعث الصحابي المناضل عبد الله بن حذافة السهمي – وكان راسخ الفكر والإيمان متحدثًا بليغًا – إلى كسرى ملك الفرس.

وكان عليه الصلاة والسلام يستنفذ كل وسائل الصلح والسلام قبل أن يخوض المعركة، فما أُرسل إلا رحمة للعالمين، فلما نَزَلَ الجيش الوثني أرض بدر أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُمَرَ بْنَ الْخَطّابِ إلَى قُرَيْشٍ، وقد كان سفيرهم في الجاهلية، فنصحهم عمر بالرجوع إلى ديارهم حقنًا للدماء.. فتلقفها حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ أحد عقلاء المشركين، فقال: قد عَرَضَ نِصْفًا، فَاقْبَلُوهُ، والله لا تُنْصَرُونَ عليه بعد ما عرض من النّصْفِ. فقال أبو جهل: والله لا نرجع بعد أن أمكننا الله منهم [1].

ورسالتهﷺ إلى المقوقس: حيث كتب النبي ﷺ إلى جُرَيْج بن مَتَّى الملقب بالمُقَوْقِس ملك مصر والإسكندرية، رسالة نصها:"بسم الله الرحمن الرحيم.. من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط.. سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ

---

١ الواقدي، محمد بن عمر، المغازي، – (ج ١ / ص ٦٢)، ط دار عالم الكتب. د.ت.

بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] "[١]. واختار لحمل هذا الخطاب الصحابي المتحدث حاطب بن أبي بَلْتَعَة ﷺ.

وجدير أن يذكر كلام حاطب ﷺ للمقوقس حتى تتضح رسالة ومنهج هذا الدين، قال حاطب: إن هذا النبي دعا الناس، فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل.. وكل نبي أدرك قوماً فهم أمته، فحق عليهم أن يطيعوه، وأنت ممن أدرك هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكننا نأمرك به! فقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه. ولا ينهي عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آية النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى، وسأنظر. وأخذ كتاب النبي ﷺ، فجعله في حُقٍّ من عاج، وختم عليه، ودفعه إلى جارية له. ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية، فكتب إلى النبيﷺ:

"بسم الله الرحمن الرحيم. لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك، أما بعد: فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبياً بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين، لهما مكان في القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت بغلة لتركبها، والسلام عليك"[٢].

لم يزد المقوقس على هذا ولم يسلم، فتزوج رسول الله ﷺ مارية، فأنجبت له طفلا ـ سماه إبراهيم، تقديراً وتشريفاً لأبي الأنبياء ـ عليه السلام ـ، أما سيرين، فقد تزوجها الشاعر حسان بن ثابت ﷺ.

كما بعث النبي ﷺ مبعوثيه إلى رؤساء المجوسية يدعونهم إلى الله، ويحدثونهم عن الدين ومحاسنه، وقد تفاوتت ردودهم، بين العنف واللطف والإيمان والكفر"[٣].

وهذه النماذج تؤكد أن الإسلام أول من نادى بالحوار بين الحضارات والدول، في سبيل نشر قيم سامية.. طبق فيها حسن الخلق واحترام الرأي الآخر.

---

١ انظر: البيهقي، أحمد بن الحسين دلائل النبوة، ج ٥، ص ٤، وما بعدها، باب ما جاء في كتاب النبي إلى المقوقس. تحقيق عبد المعطي قلعجي. بيروت. دار الكتب-١٤٠٨هـ.

٢ المصدر السابق.

٣ الغزالي، محمد، فقه السيرة، بيروت. دار الكتب-١٩٦٥. ص ٢٧٤.

KSA - Al-Madina Al-Monawara
www.b-jastaniah.sa
dr.jasten@gmail.com
966505304041+
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة

الصلح مع أهل خيبر:

لما استسلم يهود خيبر في السنة السابعة للهجرة، في نهاية معركة رسول الله ﷺمعهم صالحهم عليه السلام، وأعطاهم الأرض، يَعْمَلُوا فيها وَيَزْرَعُوهَا، وَلَهُمْ شَطْرُ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا. وفي هذه المصالحة رحمة وعفو كبيرين بأهل خيبر. فهم في الحقيقة لا يستحقون هذا الصلح، لأنهم خانوا النبي ﷺوغدروا به، وتحالفوا مع مشركي قريش سرًا، إلى جانب أنهم السبب الرئيسي في تحزيب جيوش الأحزاب، من كل حدب وصوب..

ولما أقدمت امرأة منهم على محاولة قتل النبي –ﷺ– حيث أهدت لِرَسُولِ اللَّهِ –ﷺ– شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ، وتُوفي اثر هذه المحاولة الفاشلة أحد الصحابة. ومع كل هذا لم ينقلب رسول الله ﷺعلى أهل خيبر ولم يعمل فيهم القتل، بل صالحهم وأقر العهد معهم.

تمثل النماذج السابقة مصداقاً للرحمة المهداة الذي أرسله الله رحمة للعالمين والذي كانت الدعوة إلى السلم والجدال السلمي مع المخالفين أولويات دعوته ومنهجه عليه أفضل الصلاة والسلام. وقد شهد بهذا حتى المخالفون في الدين، والدارسون لحياة وسيرة النبي ﷺ من غير المسلمين. تقول الباحثة البريطانية كارين أرمسترونج في مقدمة كتابها (سيرة النبي محمد): "من الخطأ أن نظن أن الإسلام دين يتسم بالعنف أو بالتعصب في جوهره، على نحو ما يقول به البعض أحياناً، بل إن الإسلام دين عالمي، ولا يتصف بأي سمات عدوانية شرقية أو معادية للغرب."[١].

وتبين أن السبب في إلقاء هذه التهمة على النبيﷺ من قبل بعض الغربيين، إنما هو بسبب أحقاد قديمة، فتقول: "إننا في الغرب بحاجة إلى أن نخلِّص أنفسنا من بعض أحقادنا القديمة، ولعل شخصاً مثل محمد ﷺ يكون مناسباً للبدء! فقد كان رجلاً متدفق المشاعر.. وقد أسس ديناً وموروثاً حضارياً لم يكن السيف دعامته، برغم الأسطورة الغربية، وديناً اسمه الإسلام؛ ذلك اللفظ ذو الدلالة على السلام والوفاق!! "[٢]

يؤكد هذا جوستاف لوبون: "لم ينتشر الإسلام بالسيف، بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب مؤخراً كالترك والمغول، وبلغ القرآن من الانتشار في الهند التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل.. ولم يكن الإسلام أقل انتشاراً في الصين التي لم يفتح العرب أي جزء منها قط"[٣]. ويقول: "إن القوة لم تكن عاملاً في انتشار

---

١ كارين أرمسترونج: سيرة النبي محمد ص١٩، ط٢. نسخة الكترونية.

٢ أرمسترونج: سيرة النبي محمد، ص٣٩٣.

٣ لوبون، جوستاف، حضارة العرب، ترجمة، تحقيق: عادل زعيتر–١٩٦٩م. ص١٢٨–١٢٩

الإسلام، فقد ترك العربُ المغلوبين أحراراً في أديانهم" [١]. وتبين لورافيشيا فاغليري أن" الإسلام لا يبيح امتشاق الحسام إلاّ دفاعاً عن النفس، وهو يحرم العدوان تحريماً صريحاً... وأباحت الشريعة القتال للمسلمين دفاعاً عن حرية الضمير لإقرار السلم، واستتاب الأمن والنظام"[٢].

وشهادة أخرى يقول فيها ول ديورانت:".. كان أهل الذمة المسيحيون، والزرادشتيون، واليهود، والصابئون يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد نظيرًا لها في المسيحية في هذه الأيام. فلقد كانوا أحرارًا في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم.. وكانوا يتمتعون بحكم ذاتي يخضعون فيه لزعمائهم وقضاتهم وقوانينهم"[٣].

أما مدرس الدراسات الشرقية آرثر ستانلي تريتون [٤]، فيقول: "ولما تدانى أجل (عمر بن الخطاب) أوصى من بعده وهو على فراش الموت بقوله: "أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيرًا، وأن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وألا يكلفهم فوق طاقتهم". وفي الأخبار النصرانية شهادة تؤيد هذا القول، وهي شهادة (عيثويابه) الذي تولى كرسي البطريركية من سنة ٦٤٧ إلى ٦٥٧م إذ كتب يقول: (إن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما تعرفون، أنهم ليسوا بأعداء للنصرانية، بل يمتدحون ملّتنا ويوقرون قسيسينا وقدّيسينا، ويمدون يد المعونة إلى كنائسنا وأديرتنا). والظاهر أن الاتفاق الذي تم بين (عيثويابه) وبين العرب كان من صالح النصارى، فقد نصّ على وجوب حمايتهم من أعدائهم، وألا يحملوا قسرًا على الحرب من أجل العرب، وألا يؤذوا من أجل الاحتفاظ بعاداتهم وممارسة شعائرهم، وألا تزيد الجزية المجباة من الفقير على أربعة دراهم، وأن يؤخذ من التاجر والغني اثنا عشر درهما، وإذا كانت أمة نصرانية في خدمة مسلم فإنه لا يحق لسيدها أن يجبرها على ترك دينها أو إهمال صلاتها والتخلي عن صيامها."[٥].

---

١ لوبون: حضارة العرب، ص ١٢٧.

٢ فاغليري، لورافيشيا. دفاع عن الإسلام. ترجمة منير البعلبكي.ط١.بيروت.دار العلم للملايين-١٩٦٣م، ص١١، ١٢.

٣ ديورانت، ول، قصة الحضارة، محمد بدران إدارة الثقافة في جامعة الدول العربية ٣ / ١٣٠ – ١٣١.

٤ آرثر ستانلي تريتون: ولد عام ١٨٨١ عين مساعد أستاذ للعربية في أدنبرا (١٩١١) وكلاسكو (١٩١٩) وأستاذ في عليكرة في الهند (١٩٢١) ومدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بلندن (١٩٣١-٣٨-٤٧) من آثاره: (الخلفاء ورعاياهم من غير المسلمين) (١٩٣٠)، (علم الكلام في الإسلام) (١٩٤٧)، (الإسلام إيمان وشعائر) (١٩٥٠)، (مواد في التربية الإسلامية) (١٩٥٧).

٥ ستانلي، آرثر تريتون، أهل الذمة في الإسلام. ترجمة حسن حبشي، مصر، دار الفكر، ص ١٥٨.

وصايا النبي ﷺ بأهل الذمة والتحذير من إيذائهم:

أوصى النبي ﷺ بأهل الذمة، ويمكن أن نجمل تلك الوصايا فيما يلي:

أولاً: حرمة قتل الذمي بغير حق: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍوﷺ:عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: "مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا"[١].

ثانيًا: حرمة قذف الذمي: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:مَنْ قَذَفَ ذِمِّيًّا حُدَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسِياطٍ مِنْ نَارٍ" قيل لِمَكْحُولٍ: مَا أَشَدُّ مَا يُقَالُ، قَالَ: يُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ الْكَافِرِ [٢].

ثالثًا: تحريم ظلمه: فعن عبد الله بن جراد، أن رسول الله ﷺ قال:" من ظلم ذميًا مؤدياً الجزية مقرًا بذلته، فأنا خصمه يوم القيامة " [٣].

إنها قصص يرويها التاريخ بإعجاب وإكبار وتقدير. فلم يُسمع عن رسول اللهﷺ أو عن أحد من خلفائه أنهم قَتلوا نصرانياً لأنه لم يُسلم. ولم يُسمع عنهم أنهم عذبوا كتابياً أو سجنوه أو منعوه من التعبد وإقامة شعائر دينه، ولم يُنقل عنهم أنهم خلال فتوحاتهم الحربية ودعواتهم السلمية، هدموا كنيسة أو قوضوا بيعة.

وفي ذلك يقول جولدتسيهر[٤]معلقا: "فظلم أهل الذمة، وهم أولئك المحتمون بحمى الإسلام من غير المسلمين، كان يحكم عليه بالمعصية وتعدي الشريعة!"[٥] وعلامة السلامة التي تحقن الدم والعرض، هي إلقاء السلام، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ

---

١ رواه البخاري، برقم ٦٤٠٣، بَاب إِثْمِ مَنْ قَتَلَ ذِمِّيًّا بِغَيْرِ جُرْمٍ.

٢ الطبراني، محمد بن سليمان (ج ١٥ / ص ٤٣٤)، المعجم الكبير. تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي. مكتبة العلوم والحكم ط٢، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣م.مسند الشاميين للطبراني (ج ٩ / ص ٣١٦)، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة-١٤٠٧هـ.

٣ أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبدالله، معرفة الصحابة، ط١، دار الوطن، (ج ١١ / ص ٣٣٩)

٤ جولد تسيهر (١٨٥٠-١٩٢١م): عين أستاذًا محاضرًا في كلية العلوم بجامعة بودابست (١٨٧٣) ثم أستاذ كرسي (١٩٠٦). من آثاره: كتاب (العقيدة والشريعة في الإسلام) (باريس ١٩٢٠)، و(درس في الإسلام) في جزأين كبيرين.

٥ جولدتسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام، ط٢، مصر، دار الكتاب العربي، د.ت. ص ٤٦-٤٧.

عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤].

ولقد مثل النبي محمد ﷺ وأصحابه الكرام القدوة البارزة في إقامة السلام، والمثال الحي في تعميم الإحسان، والإخاء، في المجتمع العالمي الإسلامي، واستطاعوا بذلك في أقل من قرن، أن يوحدوا نصف العالم القديم، من حدود فرنسا إلى الصين، في ظلال من العلم، والحضارة، والأُخوّة الروحية، والمساواة بين الشعوب، على اختلاف ألوانها، وأديانها، وقومياتها.

إن السلام الذي شرعه الله تعالى السلام، هو السلام من رب البشر إلى البشر، ومهما أعمل البشر جهودهم، ومهما استخدموا من وسائل، فلن يبلغوا مثقال ذرة من علم الله تعالى. ولن يصلح الناس مثل السلام الذي جاء من عند الحكيم الخبير. ولم يعرف في التاريخ مبدأ أو دين أو فكر أرحم من دين الإسلام بالمسلمين وغير المسلمين. إنها دعوة إلى السلام والسلم، الذي لا تستقيم حياة البشرية إلا به، من رب البشر وخالقهم، الذي يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

KSA - Al-Madina Al-Monawara
www.b-jastaniah.sa
dr.jasten@gmail.com
966505304041+
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة

الخاتمة

لقد بعث الله تعالى نبيه نبي الرحمة بدين الإسلام والسلام، ليعيش الناس آمنين على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم.

ولقد جاء هذا البحث ليؤكد أن الإسلام كان نبيه ﷺحريصاً على حقن الدماء، حتى إن أعظم الإنجازات التي قام بها وتمت على يده لم يكن السيف سبيلها، مثل دخول المدينة، –وكان أول ما دخلها وسمع من توجيهاته قوله عليه الصلاة والسلام:" أيها الناس أفشوا السلام "[1].

وتكوين الدولة، والدعوة فيها، وبيعة العقبة، وإقامة عاصمة الإسلام تمت بالدعوة والإقناع دون قتال مع وجود اليهود والوثنيين والمنافقين، وفتح مكة، وصلح الحديبية الذي سماه الله عز وجل: "فتحاً مبيناً". إنه دين السلام.

ونصوص القرآن والسنة صريحة ومحكمة، وهدي النبي ﷺ واضح في تسامحه حتى مع الخصوم والأعداء المعارضين. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

إن علاقة المسلمين مع الآخرين قائمة أساسا على مبدأ السلم، متمثلة في الحرية الدينية، يقول الله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، والتعاون المشترك والتعارف بين الشعوب والقبائل، ويؤكد ذلك قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

ولقد أرسى الإسلام أصولا بمقتضاها يتعايش المسلمون مع غير المسلمين فوق أرض واحدة، وتحت سماء واحدة، وفي مجتمع واحد تمثلت في: البر والعدل والحوار والاعتراف بالآخر، والجدال بالتي هي أحسن، والتركيز على نقاط الالتقاء، ومواضع الاتفاق.

إن دعوة النبي ﷺ إلى الحوار مع باقي الدول والحضارات تنبع من رؤيته في التعامل مع غير المسلمين الذين يؤمنون برسالتهم السماوية. وحمل نبي الرحمة ﷺ وأتباعه قيم الإسلام العليا ومثله السامية، وأخذوا في نشرها في كل أرجاء الدنيا، دون إجبار الناس عليها.

---

١ رواه الترمذي، محمد بن عيسى. سنن الترمذي ومعه تحفة الأحوذي للمباركفوري. بيروت. دار الفكر. بدون تاريخ. (٩ /٢٥) قال الألباني: صحيح. انظر. صحيح وضعيف سنن الترمذي، بيروت. المكتب الإسلامي. بدون تاريخ. (٥ /٤٨٥).

النماذج والشهادات كثيرة شهادة من علماء الغرب أنفسهم على هذا الدين وقائد هذا الدين الخاتم، وأن دعوته دعوة سلم وسلام ورحمة وإخاء.

شهادات صادقة انبعثت من الغرب، حملت في طياتها ألوانا جديدة من المنطق والبحث والتفكير، وسلطت على الفكر الغربي أضواء جديدة غابت عنهم، على سيرة نبينا الكريم ﷺ، صورا جديدة من العظمة والعبقرية.

شهادات أنصفت الإسلام، وتحدثت بإعجاب وانبهار عن نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام.

فالسلامُ دينُ الله في الأرض، إنه الإسلام دين يدعو إلى السلام، ويضع هذه القيمة على رأس القيم التي فيها صلاح العالم وخيره والأخذ بيده .

وأخيرا، فإن إقرار السلام والدعوة إليه والسعي إلى تحقيقه غاية ومقصد من مقاصد التعايش البشري في الإسلام، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

KSA - Al-Madina Al-Monawara
www.b-jastaniah.sa
dr.jasten@gmail.com
966505304041+
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة

ثبت المصادر

- ابن الجوزي. صفة الصفوة.. طبعة حيدر اباد-١٩٦٩م.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم.
- ابن حجر. أحمد بن علي. فتح الباري. القاهرة. المطبعة السلفية-١٣٩٠هـ.
- ابن حزم. علي بن أحمد. الفصل في الملل والنحل. الخانجي. مكتبة القاهرة. د.ت.
- ابن حنبل، أحمد بن محمد. المسند. ط١، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤١٧هـ
- ابن سيد الناس. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، بيروت دار الآفاق -١٩٧٧م.
- ابن عثيمين، محمد بن صالح. شرح العقيدة الواسطية. دار ابن الجوزي.د.ت.
- ابن قيم الجوزية. زاد المعاد. تحقيق: شعيب الأرناؤوط -عبد القادر الأرناؤوط، بيروت —الكويت :مؤسسة الرسالة -مكتبة المنار الإسلامية. ط١٤-١٤٠٧هـ.
- ابن كثير، البداية والنهاية.. الناشر: مكتبة الفلاح الرياض، مطبعة الفجالة القاهرة.
- ابن هشام. السيرة النبوية. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١ م.
- أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبدالله، معرفة الصحابة. ط١. دار الوطن-١٤١٩هـ.
- أرمسترونج، كارين. سيرة النبي محمد.. ط٢. نسخة الكترونية.
- الألباني. صحيح وضعيف سنن الترمذي. بيروت. المكتب الإسلامي. بدون تاريخ.
- إيرفنج، زاشنجتون، حياة محمد. ترجمة عادل زعيتر-١٩٦٩م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. الجامع الصحيح، ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني. القاهرة. المطبعة السلفية-١٣٩٠هـ.
- بكر أبوزيد، الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره.. ط١. الرياض. دار العاصمة.
- بوزار، مارسيل. إنسانية الإسلام. ترجمة، تحقيق: عفيف دمشقية. ط٣. دار الآداب-١٩٨٣م.
- البيهقي، دلائل النبوة. تحقيق عبد المعطي قلعجي. بيروت. دار الكتب-١٤٠٨هـ.
- الترمذي، محمد بن عيسى. سنن الترمذي ومعه تحفة الأحوذي للمباركفوري. بيروت. دار الفكر. بدون تاريخ.
- جان باغوت غلوب. الفتوحات العربية الكبرى.. ط جمعة الخولي. بدون بيانات نشر.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. الرياض. دار العاصمة-١٤١٩هـ.
- جولدتسيهر. العقيدة والشريعة في الإسلام. ط٢، مصر، دار الكتاب العربي، د.ت.
- جيلمان، آرثر، الشرق. نسخة الكترونية.

- الحاكم، محمد بن عبدالله. المستدرك على الصحيحين.. ط٢. بيروت. دار الكتب.١٤٣٣هـ.
- الرد على المنطقيين. تحقيق: عبد الصمد شرف الدين. ط٢. لاهور. إدارة ترجمان السنة-١٣٩٦هـ.
- ستانلي، آرثر تريتون، أهل الذمة في الإسلام. ترجمة حسن حبشي، مصر، دار الفكر.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان تحقيق: عبد الرحمن اللويحق. بيروت. مؤسسة الرسالة.
- سيد قطب. في ظلال القرآن.. القاهرة. دار الشروق.
- الشهرستاني. الملل والنحل. طبعة مصر -١٨٤٦م.
- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير ط٤. بيروت. دار المعرفة-١٤٢٨هـ.
- الشيباني، محمد شريف. الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة. بدون بيانات نشر.
- الصالحي، محمد بن يوسف. سبل الهدى والرشاد. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية-١٤١٨هـ
- الطبراني، سليمان بن أحمد. -المعجم الكبير. تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي. مكتبة العلوم والحكم ط٢، ١٤٠٤هـ.
- الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك. بيروت-ط١-١٤٠٧هـ.
- الطير، مصطفى محمد الحديدي. عطاء الرحمن من شريعة القرآن.. مجمع البحوث الإسلامية. القاهرة-١٤٠٥هـ.
- عبد العزيز. سماحة الإسلام. ط١. الرياض. مكتبة الأديب-١٤٢٤هـ.
- عثمان علي حسن. منهج الجدل والمناظرة.. الرياض. دار اشبيليا.
- الغزالي، محمد. فقه السيرة. بيروت. دار الكتب-١٩٦٥.
- فاغليري، لورافيشيا. دفاع عن الإسلام. ترجمة منير البعلبكي. ط١. بيروت. دار العلم للملايين-١٩٦٣م.
- القاضي، أحمد عبد الرحمن. دعوة التقريب بين الأديان. الرياض. دار ابن الجوزي.
- القرضاوي، يوسف. خطابنا الإسلامي في عصر العولمة. ط٣. دار الشروق-٢٠٠٩م.
- لامنس، هنري عهد الإسلام. نسخة الكترونية.
- لوبون، جوستاف. حضارة العرب. ترجمة، تحقيق: عادل زعيتر-١٩٦٩م.
- ماسيه، هنري. الإسلام. ترجمة وتحقيق: بهيج شعبان. ط٣-١٩٨٨م.
- مسند الشاميين. ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة-١٤٠٧هـ.
- موير، وليم. حياة محمد.١٨٥٨م.
- الواقدي. المغازي. نسخة الكترونية.
- ول ديورانت. قصة الحضارة.. محمد بدران إدارة الثقافة في جامعة الدول العربية.

الدوريات:

- أحمد عمر هاشم. من ركائز الوحدة الوطنية للمسلمين مع غير المسلمين. جريدة أخبار اليوم رقم العدد: ٣٤٩٨ السبت ١٩ نوفمبر ٢٠١١م.
- حسن عزوزي. الإسلام وترسيخ ثقافة الحوار الحضاري، مجلة البلاغ، يناير ٢٠٠٧.
- مجلة الذكرى عدد ٧، دورة ١ ص ٢٢.
- مجلة العالم الإسلامي العدد ٧، السنة الخامسة.

KSA - Al-Madina Al-Monawara
www.b-jastaniah.sa
dr.jasten@gmail.com
966505304041+
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة

جدول المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
ملخص البحث	١
Summary	2
مقدمـة	٣
تمهيـد	٥
المبحث الأول: حوار الإسلام مع أصحاب الأديان	٧
المطلب الأول: دعوة القرآن الكريم والسنة النبوية إلى الجدل مع غير المسلمين عموماً.	٧
المطلب الثاني: تخصيص أهل الكتاب بالدعوة إلى الجدال معهم.	١٠
المبحث الثاني: منهج الإسلام في الجدال مع غير المسلمين	١٣
الحوار والاعتراف بالآخر:	١٣
الدّعوة بالتي هي أحسن:	١٣
إدراك أحوال المحاور:	١٤
التعاون والإحسان والبر والعدل:	١٥
عدم تكذيب ما عندهم تكذيبا عاما	١٧
استقبال وفودهم:	١٧
التركيز على نقاط الالتقاء، ومواضع الاتفاق.	١٧
عدم الإكراه:	١٨
المبحث الثالث: نمـاذج وشهـادات	٢٠
إرسال الرسل والسفراء:	٢٠
الصلح مع أهل خيبر:	٢٢
وصايا النبي بأهل الذمة والتحذير من إيذائهم:	٢٤
الخاتمـة	٢٦
ثبت المصادر	٢٨